# المحاضرة السادسة: القصة الشعبية

القصة جملة من التعابير اللغوية،تتناول مجموعة من الأفعال حدثت أو يفترض أنها حدثت في زمن ما.

يقوم بروايتها راو يوجه روايته(رواه الأفعال) إلى مستمع (مستمعون). فهي لا تتحقق إلا بوجود عناصر ثلاثة على مستوى الفعل الحقيقي، راو(سارد) رواية(مسرود)، مروي له(مسرود له) أو بتعبير آخر مرسل، رسالة مستقبل.

هذا من جانب الفعل (فعل الرواية)، أما من حيث الرسالة أو المسرود، فهي موجودة قبل الراوي، والمروي له، لأن نص القصة (الرسالة) نص موروث يستدعي من الزمن التاريخي، الزمن السابق لفعل الرواية، لأن عالم القصة له زمنه الذي هو زمن متخيل أو هو زمن يحمل جزءا من الواقعية التاريخية المعاشة في زمن ما. فهو زمن يناقض زمن الواقع الاجتماعي المروي فيه النص، لأنه لا يحكي واقعا آنيا، ولكن ربما يسقط الآنية على الماضوية محاولةَ إنتاج واقع جديد – نفسيا على الأقل.

ومن هنا يمكن أن نميز بين (( زمن القص وهو زمن الحاضر الروائي، أو الحاضر الذي ينهض فيه السرد. وزمن الوقائع، و هو زمن ما تحكي عنه الرواية ينفتح في اتجاه الماضي))1. ويمكن القول إن النص المروي، اكتسب بعد منشئه صفة السيرورة الدائمة، الملاحقة لديمومة الزمن، و يكفي للراوي استدعاءه أنى له، ليحتل حيزا زمانيا آنيا. ويبقى الراوي دائما في حاجة إلى مروي له حتى يكتمل الفعل الروائي.

(( فالقصة الشعبية ليست قصة شعب بعينه، أو عصر ما وإنما هي قديمة قدم الشعب نفسه. فمنذ أن وجد على هذه الأرض فهو يحكي. يحكي يومه الذي يعيشه، يحكي أمسه الذي عايشه، فالحكاية تسايره ويسايرها حتى أصبحت جزءا منه ))2

فإذا عدنا إلى هذا المصطلح، أو هذا الجنس الأدبي، فإننا نجده معروفا في الثقافة العربية، كغيرها من الثقافات الأخرى.

---

[1] يمنى العيد : في معرفة النص. دار الآفاق الجديدة – بيروت. ط3 –1985 – ص 227

[2] أمحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس – الهيئة العامة لقصور الثقافة . القاهرة ص28

فالقصة في معناها المعجمي من فعل قص.

و(قص) أثره قصا وقصيصا تتبعه. والخبر أعلمه. فارتد على أثارهما قصصا، أي رجعا من الطريق الذي سلكناه3.

ويقال : قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء والقصة : الخبر وهو القصص4.

والملاحظ أن المحور العام الذي يدور حوله اشتقاق فعل قص هو التتبع للأثر أو الأخبار عن الشيء وهو المعنى نفسه الذي يؤديه مفهوم القصة. ويدعم هذا ما جاء في الآيات التي تدل على ذلك منها قوله تعالى: ((نَحْنُ نَقُصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِ. إِنَهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدَى))5.

والنبأ هو الخبر. أي نحن نخبركم بخبرهم، استعمل الله سبحانه فعل (نقص) بدل (نخبر) لوقعها على النفس واجتذابها لسماع هذا الخبر.

فالقصة تخبرنا عن مجموعة من الأحداث الدائرة في الإطار العام للنص. أو أنها تتبع أثر سير الأحداث المتعاقبة التي تحركها شخصيات القصة. وتبقى الرواية تسير وراء أثرها من البداية إلى النهاية. فالمعنى المعجمي يكاد يكون –إن لم يكن– المعنى نفسه الاصطلاحي للقصة. ما دام يدل على الأخبار وتتبعها. سواء كانت هذه الأخبار حقيقية أم هي من صنع الخيال.

وهناك مصطلح آخر –أرى أنه من الضروري التطرق إليه– يستعمل للمعنى نفسه، ويؤدي الغرض ذاته وهو : الحكاية بدل القصة. لأننا إذا عدنا إلى الدراسات المختلفة للأدب الشعبي فإننا نجد البعض يتعامل مع النص المروي باسم الحكاية الشعبية.

والحكاية معجميا من فعل:

---

[3] الفيروز آبادي : القاموس المحيط – دار العلم للجميع – الجزء الثاني – ص 132.

[4] ابن منظور : لسان العرب – دار صادر – بيروت – الجزء السابع – 1992، ص 74.

[5] الكهف/13

حكـى : (حكـوت) الحـديث. احكـوه كحكيتـه. أحكيـه وحكيـت فلانـا وحاكيتـه شابهته. وفعلت فعله أو قوله. سواء وعنه الكلام حكاية نقلته6.

وحكى الشيء حكاية : أتى بمثله وشابهه. وعنه الحديث نقله فهو حاك.

و (الحكاية) : ما يحكي ويقص وقع أو تخيل7.

فحكـى أو حـاكى كلاهمـا تعنـي المشـابهة. والحكايـة مشـابهة ومحاكـاة للأفعـال سابقة (( فالقصص من المحاكاة وهي أيضا طريقة لكسب المعارف، وطريقة لمعرفة أحوال الناس والأحداث التاريخية ))8 فالمحاكاة هي تقليد لواقع وهمي – أو يكاد – للوصول إلى غاية ما. فالقصة أو الحكاية إذا محاكاة لواقع حياتي. لكن فيما تتمثل هذه المحاكاة؟

هل هي تشبه كهف افلاطون وعالم المثل المنعكس على جدار الكهف؟

أم على طريقة تلميذه ارسطو الذي أعطى لها بعدا آخر؟

منـذ البدايـة عرفنـا أن الـنص القصـص مـوروث شـعبي انتقـل عبـر الأجيـال المتلاحقة و عبر العصور الزمنية المتتالية بواسطة قنوات مختلفة.

فـالنص القصـص يمثـل لنـا اليـوم مجموعـة مـن أجـزاء حياتيـه قـد تشـابه وقـد تختلف عن حياتنا.

هـل نعتبرهـا واقعيـة تاريخيـة واقعـة؟ أم نعتبرهـا تصـورا لواقـع تـاريخي افْتُـرِضَ وُقُوعُهُ في الأزمنة الأولى حتى و إن كان يحمل دالة على وقوعه؟

نتـرك مبـدئيا الإجابـة عـن هـذا التسـاؤل و الـذي أثـار جـدل بـين المشـتغلين بالدراسـات الشـعبية، بـين مـن يـرى أنهـا (النصـوص) تصـوير مزيـف لواقـع، تحاقبـت عليه الأحقاب و تحول إلى سرد عجائبي خرج في أغلبه عن دائرة المألوف.

---

[6] الفيروز آبادي : القاموس المحيط – الجزء الرابع – ص 319

[7] مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط – دار المعارف – مصر – الجزء الأول – ط 2 – ص 190

[8] ياسين النصير – المساحة المتخفية – قراءة في الحكاية الشعبية – المركز الثقافي العربي–الدار البيضاء المغرب – ط1 1995–ص9

و بين من يرى أنه (تاريخ) أو شبيه به، دُوِنَ بطريقة التخلي عن الزمن، إما لعدم أهميته بالنسبة للراوي، أو لقادم الزمن فانمحى من الذاكرة، أو قُصد ذلك ليتحول إلى نموذج يمكن أن ينطبق على أي واقع آخر.

نترك هذا الموضوع ونستقرئ المحيط الذي يعيش فيه النص –مهما كان– حتى نأخذ موقعا ربما خلفته الدراسات العلمية له.

نعود إلى الأوساط الشعبية التي تمثل العمود الفقري لحاملي التراث. والتي يتمتع بقدر من البساطة الفكرية والتي لم يأتي عليها التحضر الذي سلخ الكثير منها عن أنفسها وقطع السبيل بينها وبين جذورها .

نعود إلى أفراد هذه الأوساط و إلى أيمانهم المطلق بتراثهم العقائدي الزاخر، والعاداتي المكثف بالدلالة. وأشكال المرويات الصادقة عندهم.

نسألهم عن حقيقة هذا التراث وعن مصداقية هذا الموروث.

لا أشك في أننا سنجد إجابتهم مؤكدة لتراكمهم المعرفي مهما كان. ولا انطلق هنا من فرضية تحتمل الحالتين. و لكن من المعايشة مع الكثير، الذين بقوا على فكرهم، وهم يمثلون اليوم ما كان سائدا قبل أن يجرف تيار المتغيرات المجتمعات الشعبية، وقبل أن تعمل مؤسسات (....) عملها في محاولة خلق إنسان آخر يفقد الكثير من نفسه.

النص القصصي (الشعبي) بالنسبة لهذا الإنسان حقيقة تاريخية وقعت بالفعل، وغرائب أحداثه حقيقة أيضا. وشخصياته كانت فعلا، ومارست الفعل فعلا. ويعلل لها أنها تتسم بسمات خاصة، لا يجب تكررها الآن. ويستدلون على ذلك من الأطلال الباقية كالأهرامات في مصر. و في الجزائر (مدغاسن) أو المدن الرومانية الباقية أثارها وأن بناتها (جهلة) والجهلة دالة على القوة وليس بمعناه المعجمي.

فإنسان القصة إنسان موجود ويحمل من ذاته قدرات لا تتعدى إلى غيره اللاحق به. وتصرفاته صادرة من وجوده المتفرد الذي لا يتكرر. إنه النموذج للإنسان الكامل

في اعتقادهم. هذه النقطة أوردتها لأهميتها في نظري، حتى لا تفصل النص الشعبي عن فضائه ومنطلقاته العقائدية.

وحتى يكون للمجتمع الشعبي رأي في تصوره لثقافته وأدبه، ولا يبقى الرأي حكرا على الباحثين فقط. حتى وإن كان هذا الرأي مخالفا لهم. إلا أن له دورا في فهم بعض المظاهر الثقافية المختلفة.

ومن المفهوم السابق الحقيقية النص القصص بالنسبة للإنسان الشعبي إذ هو محاكاة لوقائع حدثت. وهذا ما ذهب إليه افلاطون –قديما– على أن المحاكاة تدل (( على العلاقة الثابتة بين شيء موجود ونموذجه، والتشابه بينهما ممكن، أن يكون حسنا أو سيئا، حقيقيا أو ظاهرا، فحين تحاكى طبيعة الأشياء بالحروف والمقاطع والكلمات والجمل تكون المحاكاة حسنة إذا دلت على خصائص الوجود، وسيئة إذا تجاوزت هذه الخصائص (...) وينحصر نجاح الفنان في نتاج محاكاة الأشياء على حقيقتها لا غناء فيها عن الحقيقة. فليست سوى خطوة للاقتراب من الحقيقة إذا كانت تلك المحاكاة صحيحة ))9 فالمبدع الشعبي يحكي أو يحاكي عن طريق الملفوظ أو اللغة أعمالا وقعت حقيقة بالنسبة إليه على الأرض في وجوده، فهو يستحضرها أو يعيد تمثلها على أسماع المتلقين و ((غاية المحاكاة أو التخيل هي الإثارة والحفز والاستفزاز إلى الفعل سواء صدق ما يخيل إليه من ذلك أم لا. كان الأمر في الحقيقة على ما خيل أو لم يكن))10

وسواء استعملنا القصة أو الحكاية فالمدلول واحد وإن اختلف الدالان، وهو اختلاف لفظي، لأن كليهما يؤدي إلى معنى واحد، كما هو متشابه في الإشتقاقات المختلفة للفظين من الناحية المعجمية. ويبقى اختيار أحدهما على الآخر يخضع لرغبة المستعمل له، وليس على أساس اصطلاح دلالي.

و القصة الشعبية (( مجموعة من الأحداث مرتبة ترتيبا سببيا تنتهي إلى نتيجة طبيعية لهذه الأحداث، وتلك الأحداث المرتبة تدور حول موضوع عام هو التجربة

---

[9] محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي – دار العودة – بيروت – ط 1 – 1982 – ص 33

[10] إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب – دار الثقافة. بيروت – ط 4 – 1983 – ص 221

الإنسانية نفسية أو اجتماعية))11 بذلك تكون القصة الشعبية عبارة عن صورة اجتماعية متخيلة لما يجب أن يكون الواقع المفترض، تعتمد على التقويم والمواجهة أو هي (( استرجاع للواقع أو ما يتصور أنه بواسطة الكلمة))12 وهذا الاسترجاع يقوم على مبدأ الحقيقة التاريخية لوقائع اندثرت، أو تآكلت، أو فقدت وظائفها المتنوعة، دلت عليها قرائن تبرز من خلال دلالات الأحداث المروية.

ومبدأ الحقيقة التاريخية لا يقوم على فعلية الحدث، وإنما على اعتقاديه الحدوث بالنسبة للقاص (الراوي) والمستمع معا.

وذلك انطلاقا من التراكمات السابقة أو الترسبات الباقية في مضمون النص القصص المروي باعتباره سجلا لأحداث وقعت في الزمن الأول الذي هو نفسه يحمل دلالات خاصة به.

هذا الزمن يخالف زمن السرد الآني، وحينها يصبح النص المسرود ((جزءا من حكايات العالم، وهي بالضرورة أصبحت حاجة فكرية و ثقافية استوعبتها العقل الإنساني عبر التاريخ وصيرها أداة لفهم العالم. و سر بقائها وديمومتها ليس إلا جانبا من حاجاتنا المستمرة لها))13

وهذا ما ذهبت إليه المدرسة الأنتربولوجية المقارنة و خاصة التطورية الجديدة التي ترى أن التطور الثقافي (( عملية شكليةزمانية Temporal Formelتبدو فيها الظواهر الثقافية كتتابع زماني من الأشكال (البناء و الوظيفة)،))14 وذلك بعدم اختفاء بعض الأنماط الفكرية والتي تبقى (( تتنكر في أشكال حضارية جديدة لتخفي انتسابها إلى الفكر القديم))15. هذه الأشكال تكونت عبر العصور وبقت تحتمي وراء

---

[11] عبد الحليم محمود : القصة في العصر الجاهلي – دار المعارف – مصر – ط 2 1979 – ص 23

[12] نمر سرحان : الحكاية الشعبية الفلسطينية – المؤسسة العربية للدراسات و النشر – بيروت – 1974 – ص 24

[13] ياسين النصير : المساحة المتخفية . قراءة في الحكاية الشعبية – ص 9

[14] إيكه هولتكراس : قاموس مصطلحات الاثنولوجيا و الفولكلور – ترجمة محمد الجوهري. حسن الشامي دار المعارف – مصر – ط 2 1973 – ص 114

[15] نبيلة إبراهيم : فن القص بين النظرية و التطبيق – مكتبة غريب د.ت، ص 27

معطيات فكرية أو روحية، وتصطبغ بصبغتها حتى تحتمي نفسها من الانقراض، من جراء تطور الفكر الإنساني .

وهذا ما نجده في بعض النصوص التي ترجع إلى عهود موغلة في القدم كانت شعائر دينية أو تتناول سيرة الآلهة، فطورت نفسها بما يتلاءم و المواقف الجديدة التي طرأت عليها. لما فقدت وظيفتها، وتحولت مع المتحولات الطارئة عليها وتشكلت بإشكال إسلامية في المجتمعات الإسلامية – مثلا – لَمَا أصبحت لا تتلاءم مع المتغير الجديد، فبقت عالقة في وحدات النص وأجزائه، بحيث يصعب الكشف عنها أحيانا، مما يجعل المتعامل مع النص يحتاج إلى مرونة في الاحتكاك معها وإلى جملة من الخبرات المعرفية للكشف عنها.

لكن على الرغم من ذلك بقت تؤدي مهمتها في خلق التوازن النفسي في المحيط الذي تدور فيه، وذلك من خلال تصورات اجتماعية كانت أو سياسية (....)

تقوم على الشعور النفسي العام، ولا تقوم على أساس التعامل مع قضية واضحة بالمعنى الواضح (الدقيق) مما يجعلها تميل إلى الجانب الافتراضي المحمول على الإيحاء، لما يجب أن يكون أو احتمال كونه، بدل التوغل في استعراض واقع معاش. وهذا ما يُكسب النص القصص الشعبي مرونة، وعدم الاستقرار على حال معين حتى تتشكل أو تتكيف والمعطيات الظرفية الطارئة مما يجعل إلى تأطير النص القصص في إطار يحده أمرا لا يتحقق وهو يعيش في فضاء الشفاهية يتلون في هيئات متنوعة تخضع للمحيط البيئي الذي يُتداول فيه.

والقصة الشعبية تسعى دائما (( إلى تحقيق الشمول الكلي بالتعبير عن جوهر التجربة الإنسانية، منطلقة من الخاص إلى العام غير متخلية عن تفرد التجربة. مستعينة إلى ذلك بالحدث الكبير الفاصل، وبالشخصية النمطية المحددة وبالفكرة الواضحة وبالتعبير العفوي البسيط))[16] هذه العناصر التي يعتمدها النص في بنائه الوظيفي للوصول إلى واقع، يحتمل أن يقع، و ما يجب أن يكون واقعا، حتى و إن

---

[16] أحمد زياد محبك : الحكاية الشعبية – الثقافة – مجلة تصدرها وزارة الثقافة و السياحة – الجزائر س14 – ع93 – ماي، جوان 1986 – ص 174

جنح في أسلوب بنائه إلى العجائبية المفرطة في الغرابة، و صنع الجمال، و انفراطه في فضاءات وهمية مشابهة لما يحدث في عالم الأحلام. فإنه – رغم ذلك – يحقق رضا الطفولة الكامنة في أعماق الإنسان، هذه الطفولة تبقى أبدا تواقة إلى هذا الضرب من التصوير السريالي (( المجرد عن ملابسات العقلانية، و الادراك الشعوري الطبيعي، لتجسيد (في الفن و الأدب) حقيقة الذات الإنسانية في أخص حالاتها ابتعادا عن إطار العقل الواعي بالأشياء الموضوعية و ظواهرها، و أشكالها و أحجامها. كما تعودت حواسنا أن تدركها ))17.

و من هنا تأتي القصة الشعبية على فلسفة بسيطة، هي محاولة فهم الإنسان للحياة فهما أوليا. من أثناء سعيه نحو التلاؤم مع الواقع، و إرادته في الوصول إلى الراحة و الاطمئنان، على الرغم من بساطتها إلا أنها لا تخلو من ذكاء و تأنق، كما تتسم بالعفوية و عدم التعقيد في تناولها للأحداث و القدرة الفائقة على التأثير.

هذه السمات كلها تعبر عن المزاج الشعبي الذي تهمه النتيجة التي يحققها النص في النهاية،

(( و الواقع أن القصة الشعبية لها فلسفتها و رؤيتها الخاصة و التي تتغاير – في الغالب– مع المقاييس التي تبدوا لنا غير منطقية بالقياس إلى ما تعودنا عليه من الأساليب العقلية في التحليل و التعليل، و إخضاع السلوك الإنساني إلى ما نعتقد أنه المنطق المعقول، بينما للقصة منطقها و عقلها الجمعي، يغدو فيه التعليل ألا منطقي هو المنطق ))18. و بذلك تحاول أن تخلق نظاما في عالم تسوده الفوضى و تحطمت فيه القيم، من خلال الارتكاز على بعض الأحداث المهيئة للبطل. هذه الأحداث تسجلها القصة الشعبية (( بصفة واقعية بالرغم من البعد الزمني الذي كثيرا ما يصبغ بصبغة خارقة، حيث أن الحدث المذكور قد وقع في أغلب الأحيان في الزمان الخالي ))19، هذه الواقعية أما أن تكون حادثة تاريخية وقعت في زمن له واقع تاريخي، ثم تحور هذا الواقع مع مرور الزمن، و على مِرَارَةِ الرواية المتعددة إلى

---

[17] ميشال عاصي : الفن و الأدب – مؤسسة نوفل – بيروت – ط2 – 1980 – ص 203

[18] التلي بن الشيخ : منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1990 – ص 127

[19] روزلين ليلى قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1980 – ص

واقع يغلب عليه النسج الخيالي الذي أحدثته الأزمنة المتتالية لوقوعه، حتى اكتمل النص على ما هو عليه الآن. غير أن المتفحص لجزيئاته يستطيع في كثير من الأحايين أن يرجعه إلى بدئه مستعينا بالقرائن الدالة عليه. و من ثم يتحقق الحدث الذي تحمله القصة، و ليست الواقعية هنا بمفهومها النقدي و لكن بحقيقية وقوع الحدث، إذا ما أُكتشف أصله التاريخي.

و أما أن تكون الواقعية واقعية للراوي و المتلقي بحقيقة النص الدائر بينهما، على اعتبار أن النص انتقل عبر الأجيال السابقة. و هذه الأجيال لها علاقة متعدية بالحقب السالفة، و هي بذلك موثوقة في نقلها لما وقع من أحداث، قد لا تتفق مع الواقع المعيشي بالنسبة للراوي و المتلقي، إلا أن زمانها يتلاءم معها.

و بالتالي فهي بالنسبة لهما أحداث واقعية لها خصوصيات الزمن الأول، الذي هو تاريخ مميز بالنسبة للعقلية الشعبية، لكن هذا التميز لا يتضح بالرؤية المعرفية بل تلفه هالة ضبابية يصعب الإدراك فيها، مما يجعل الإنسان الشعبي يتحولق حوله دون التقرب إليه، بحيث يشكل مرجعية نفسية، بما يتاح له من فرص الهروب له نفسيا و الاتكاء عليه روحيا، و هو يعاني من جدلية الصراع بين الخير و الشر و بين الحق و الباطل.

و واقعية الأحداث ما هي إلا (( تعبير عن رؤية كونية سحرية للعالم. رؤية لا تاريخية تتمحي فيها الحدود بين الأحياء و الجماد أو بين الثقافة و الطبيعة، حيث تكتسب الأشياء و الظواهر خواصا و قدرات مميزة ))20. و يمثل هذا الواقع المرحلة السابقة لنضوج العقل الإنساني الذي لم يقم على مبادئ العلل و المنطق و قوانين السببية.

لكن على الرغم من التغيير الحاصل في العقل البشري، تبقى القصة الشعبية و ما تحتويه من أحداث – قد تستهوينا و قد ننظر إليها من ثقب – جزءا من الثقافة الشعبية التي لا تنضب. و يبقى تأثيرها لازما في كثير من أمورنا الحياتية، تتسلل جزيئاتها في حديثنا اليومي في أضراب أمثالنا و حكمنا و حتى في ثقافتنا الرسمية.

---

[20] صلاح فضل : منهج الواقعية في الإبداع الأدبي – دار المعارف – مصر ط 2 – 1980 – 294

فقد استلهم منها المبدعون الكثير من إبداعاتهم، حتى شكلت ظاهرة أدبية في الأدب الحديث و المعاصر.

و يؤكد أحد كتاب أمريكا اللاتينية ذي الشهرة العالمية و هو الكولمبي جارسيا ماركيس في إحدى قصصه التي تعتبر من أعظم قمم الأدب، و هي (مائة عام من الوحدة )، أن موهبته الأساسية هي حكاية القصص الأسطورية التي سبق له أن سمعها من أمه و جدته، و الفضل يعود لهما و ينصح النقاد أن يسألوا أمه عن كل حادثة في قصصه لأنها الوحدية التي تعرفها بدقة21.

و الملاحظة الجديرة بالذكر، بعد هذه المحاولة في فهم القصة الشعبية، و إدراك كنهها، و علاقتها بالفكر الشعبي المرتبط بالثقافة الشفاهية الممتدة في عمق التاريخ، أن نلاحظ أمرا مهما – بالنسبة للدراسة – أن الراوي للقصص الشعبي لا يفرق بين الأجناس المروية و لا المتلقي أيضا.

فالنصوص المروية عندهم، متساوية ما دامت تؤدي غرضا من الأغراض متعه كانت أو عظه أو تاريخا أو ترفيها، إسماعا من أجل السماع، دون ذلك لا يهم.

لذا ارتأيت أن أضع الفواصل بين الأجناس المروية في القصة الشعبية الجزائرية. و لا أزعم أنها أجناس منفصلة و واضحة المعالم، يمكن فصلها بسهولة.

لأننا إذا عدنا إلى النصوص المروية نجد أنها متداخلة متشابكة. قد نجد في النص الواحد عدة نصوص؛ يضم القصة بالمفهوم السابق، و نجد فيه الخرافة، كما نجد فيه الأسطورة. هذا التداخل مرده إلى الرواة، حيث يعمدون إلى دمج النصوص؛ إما لكسب الوقت من حيث الطول و إما لإرضاء رغبة المستمع، حن يحس أن الرواية لم تحقق رضاه في النتيجة المرجوة التي تخيلها، فيلجأ القاص إلى نص آخر يربط بدايته بعلاقة قريبة مع نهاية النص الأول، و هكذا. أم أن عدة نصوص اختلطت أحداثها في ذاكرة الراوي، مما يضطره الحال إلى دمجها معا في نص واحد.

---

[21]أنظر، صلاح فضل : منهج الواقعية في الإبداع الأدبي – ص من 308 إلى 315

و هناك من النصوص ما كان في الأصل أسطورة دينية قديمة، فقدت وظيفتها الطقسية و تحولت مع مرور الزمن، و تعدد الرواية لها إلى قصة شعبية بعدما أصابها التغيير و التحوير في أحداثها، و شخوصها، و أُخضعت لمنطلقات فكرية فرضتها جملة من العوامل.

لذا و ذاك قسمت النصوص المروية التي هي في مفهومها العام قصة أو قصص يقص و يحكى على المجتمع إلى :

قصة شعبية : و هي التي تتناول الحياة المعيشية العادية للإنسان و الأمور الدنيوية المعتادة.

الأسطورة و هي حكاية – كانت – مقدسة تتميز موضوعاتها (( بالجدية و الشمولية؛ فهي تدور حول المسائل الكبرى التي ألحت دوما على عقل الإنسان، مثل الخلق و التكوين، و أصول الأشياء و الموت و العالم الآخر و ما إلى ذلك. (...) تلعب الآلهة و أنصاف الآلهة الأدوار الرئيسية (فيها) ))22.

الخرافة. قصة بطولية ملآى بالمبالغات و الخوارق تعتمد على العجائبية، أبطالها من البشر و الجن و الحيوانات و لا دور للآلهة فيها.

---

[22] فراس السواح : دين الإنسان – دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة – دمشق ط 2 – د.ت – ص 58